

أضواء البيان

@ 58 @ .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { يَذَرُوكُمْ فِيهِ } الظاهر أن ضمير الخطاب في قوله { يَذَرُوكُمْ } شامل للآدميين والأنعام ، وتغليب الآدميين على الأنعام في ضمير المخاطبين في قوله : يَذَرُوكُمْ واضح لا إشكال فيه . .

والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله : (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث ، من بني آدم والأنعام في قوله تعالى : { جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْإِنْسَانِ نَعَامًا أَزْوَاجًا } سواء قلنا إن المعنى : أنه جعل للآدميين إناثاً من أنفسهم أي من جنسهم ، وجعل للأنعام أيضاً إناثاً كذلك ، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً . .

وإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية الكريمة يَذَرُوكُمْ أي يخلقكم ويبتئكم وينشركم فيه ، أي فيما ذكر من الذكور والإناث ، أي في ضمنه ، عن طريق التناسل كما هو معروف . . ويوضح ذلك في قوله تعالى : { اتَّبِعُوا رَبَّكُمْ وَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } فقلوه تعالى : { وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } يوضح معنى قوله : { يَذَرُوكُمْ فِيهِ } . .

فإن قيل : ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله يَذَرُوكُمْ فيه ، مع أنه على ما ذكرتم ، عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام ؟ .

فالجواب : أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً . .

ومثاله في الضمير : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ } وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِنْ إِيَّاهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُم بِهِ } ، فالضمير في قوله : به مفرد مع أنه راجع إلى السمع والأبصار والقلوب . . فقلوه : { يَأْتِيَكُم بِهِ } أي بما ذكر من سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ، ومن هذا المعنى قول رؤية بن العجاج : { يَأْتِيَكُم بِهِ } أي بما ذكر من سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ، ومن هذا المعنى قول رؤية بن العجاج : % (فيها خطوط من سواد وبلق % كأن في الجلد توليع البهق) % .

فقلوه : كأنه أي ما ذكر من خطوط من سواد وبلق .

